-١٢-

وكأن الشمس أشرقت

أستيقظت ولم أرى كعادتي ضوء الشمس ,فشمسي هي وحْدَتي نهاري كليلي لا فرق بينهما غير أنهم كلمتان مختلفتان .

فأنا شاب أتممت عِقدي الثالث في نيسان الماضي , وحيدًا بما تحمل الكلمة من معنى لا أذكر أنني رأيت أبي غير بضع مرات قبل أن يتوفاه الله وأكملَت أمي مالم يمنحه العمر لأبي من تربيتي والاعتناء بي , حتى تركتني هي الاخرى وانا لم اتمم مرحلتي الجامعية ,أما عن عائلتي فهي متباعدة الأطراف لدرجة أنني لم اسمع صوت أحدهم من أيامٍ كثيرةٍ لا أذكر عددها .

عشت طفولة عادية ونشأت منطويًا على نفسي أحب الوحدة والهدوء وأخاف من التكلم مع من لا أعرفهم ونادرًا ماكنت اذهب للتسكع واللعب مع ابناء سني .

أما بالنسبة لاصدقائي فحَدِث ولا حرج لم أملك منهم غير واحدًا شاركني مدرستي وجامعتي وسافر بعد تخرجنا مباشرة إلى إحدى الدول العربية , اسمع أخباره من الحين للأخر وأقابله مرة أو مرتين مع نهاية كل عام! .

أعيش بعد موت أمي في بيت فسيح مكون من أربع غرف أغلقت معظمها بمرور الزمن ولا يعيش فيها إلا الذكريات المندثرة وبعض الأشباح التي أؤمن أنها وجدت بيئة ملائمة للتعايش والانسجام بها .

دائرة حياتي مفرغة وروتيني اليومي لاينتهي فأمسي هو اليوم واليوم هو غداً فأنا استيقظ من النوم لأذهب للعمل الذى حصلت عليه عن طريق الصدفة في إحدى الشركات المرموقة وبعده أعود للمنزل للأطهي طعام غدائي الذي تعلمت أن أطهي فيه بعض الأكلات البسيطة لاملأ معدتي الخاوية وبعد ذلك أهِم للذهاب للنادي الذي اشتركت حديثاً لأمارس التأمل أو قراءة القليل من

الكتب التي يستهويني حب الثقافة شرائها !.
أما بالنسبة للجانب العاطفي في حياتي فأنا لا أعرف إن كنت رومانسيّ أم لا , لأنني لم انزوي في أى تجربة من تجارب الحب التي تُغرِق حياتنا ولكني أشعر بالحب دائما من حولي متجسدًا في تغريد الطيور وأنغام الموسيقى ونظرات العاشقين لبعضهم وإن كنت ولا شك أتمنى منذ زمن بعيد أن اودع العلاقات الرسمية التي قابلتها سواء في العمل أو الدراسة و أن اشعر بالحب وهو يتغلغل بكياني , ولكن أين ومتى هذا هو السؤال الذي لا استطيع معرفة إجابته ؟
مع أنني على يقين أن الزمن وحده هو الذي سيحل هذا الخلاف بيني وبين الحب الذي انتظره .
وذات يوم انهيت يومي بالعمل وبعدها ذهبت إلي النادي لأمارس هوايتي في الجلوس وحدي , وطالت مدة جلوسي هذه المرة على غير عادتي وكأن القدر اخيراً قرر أن يكافئني بهديةٍ من عنده , فظهرت فتاة تبدو في العشرينات من عمرها كأنها محاطة بهالة من النور وجلست أمامي في البداية لم أستطع أن أبعِد نظري عنها وانتابني شعورًا بالفضول نحوها فكانت جميلة الملامح وفي عينها بريق لا استطع وصفه ولكني لاحظت أيضاً حزنًا دفينًا لم أعرف من الوهلة الأولى مصدره, ومع هذا كنت سعيدًا لأنها كانت جالسة بمفردها ولم يقطع خلوتها أحد .
ومَر وقتٌ طويلٌ وأنا أحاول أن انتشل نفسي من بحر الارتباك الذي سقطت فيه وعينيلم تذهب من عليها , وأخيراً وبدون مقدمات قررّت هي أن تحل أزمتي وانتهت من جلستها وهمَّت بالرحيل , وكدت أصرخ وأنا رافع كلتا ذراعى كالمستجير لإنقاذي وعدم تركي ولكنها ذهبت واختفت من أمامي وابتلعها الظلام وظلت صورتها في خيالي هذه الليلة ولم تتركني ولو لوهلةٍ , وعندما استيقظت ظلت معي تطاردني وعندما انهيت العمل في موعدي تركت كل شيء ورائي وذهبت للمكان الذي كانت تجلس فيه بالأمس على أمَل

لقائها مرةً أخرى ولكني لم أجِدها هناك , انتظرت وانتظرت وانتظرت حتى كاد الانتظار يقتلني وأخيراً ظهرت مرة أخرى كالهلال المضيء وسط الظلام الدامس , ولكن هذه المرة قررت أن أستثمر الفرصة ولا أضيعها هباءً .

فاستجمعت كل مالدي من قوة وشجاعة واعتبرت كلامي معها هو قارب النجاة بالنسبة لي, فقتربت منها واحسست بقلبي سينفجر داخلي من سرعة دقاته وأخيراً وبعد معاناتي مع القلب والوقت والخوف جلست بالكرسي المقابل لها وحاولت أن انتزع الكلمات من داخلي وكأنني انتزعها من بئرٍ عميقة وأخيراً خرجت مِنّيٍّ أول كلمة لتحيتها وبعدها تنفست الصعداء, ولكن الغريب أنها حتى لم تلتفت وتنظر لي فكررت التحية عليها ولكن مع الأسف نفس رد الفعل , فأحسست أنني كائن متطفل وبدوار شديد وبكل المشاعر السلبية الموجودة بهذه الحياة التعيسة وقررت الرحيل , وبالفعل عدت إلى المنزل خائب الرجاء وجلست صامتًا لساعاتٍ وبرغم ماحدث انتابني شعورًا غريبًا لا أعرف مصدره وجعلني أرجع في اليوم التالى لنفس المكان لانتظرها وقبل أن اجلس ذهبت لشخص أعرفه معرفة سطحية لأسأله عمّا إذا يعرف شيئًا عن هذه الفتاة غريبة الاطوار وبالفعل أَصَبت وحكى لي انها تتردد على المكان منذ فترة قريبة وبحكم معرفته بأحد اقاربها على حد قوله أن هذه الفتاة تعاني من صدمة عصبية ولا تتكلم مع أحد , لا أعرف لماذا زاد إصراري بعد سماعي هذا الكلام في التعرف عليها وذهبت بعد ذلك لمكان جلوسها وجلست بجوارهاوبدأت أكلمها ولكن لا مجيب وكررت المحاولة مرة ثالثة وفي اليوم الذي يليه رابعة وبدأت أتعود أن اجلس بجانبها كل يوم , ولاحظ الجميع من حولنا لقاؤنا الدائم الصامت واستمر الوضع هكذا لأكثر من ثلاثون يومًا في كل بداية يومٍ منهم يتجدد عندي الأمل بأنها ستلتفت لي وتكلمني كانت أجمل لحظات حياتي حينما اجلس برفقتها مع أنها صامتة دائمًا ومع كل لقاء كنت أحضر معي كتاب وأبدأ بالقراءة, حتى تنتهي هي من جلستها

وتذهب وتتركني ضحية الإحباط .
وذات يوم تملكني اليأس مما أفعله وقررت أنَّ هذا اليوم سيكون يوم الوداع , وتحضرت للقائها وذهبت فوجدتها فجلست خلفها وبدأت بسرد قصتي كاملةً منذ أن وِلِدّت
وحتى قابلتها ومعاناتي معها وأن هذا اليوم سيكون أخر لقاء بيني وبينها وأنهيت حديثي الذي استمر طويلًا وصمتّ قليلا ونكست رأسي من شدة إعيائي وحزني وحينها استدارت فرفعْت رأسي ونظرت لأول مرة لها فوجدتها مبتسمة لي وكأن الشمس أشرقت عليّ وحدي بعد ظلمة سنوات الوحدة .
وأعطتنى النور والدفء والأمل الذي سيملأ حياتي.

أحمد يسرى محمد خليل